



واقع أطفال المهاجرين في المغرب: دراسة ميدانية لآليات الإدماج الاجتماعي

دراسة مقارنة بين مدينتي الرباط وفاس

شحيمة محمد

طالب خريج المعهد الملكي لتكوين الأطر تخصص التربية والتنشيط في مجال الطفولة
المغرب

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى فهم واقع أطفال المهاجرين في المغرب من خلال تحليل آليات الإدماج الاجتماعي والعوائق التي تواجههم، تركز الدراسة على مدينتي الرباط وفاس كنماذج لفهم الديناميات المختلفة للإدماج في السياقين الحضري والثقافي المتمايزين، تعتمد على منهجية مختلطة تجمع بين الأدوات الكمية والكيفية لتحليل تجارب 80 طفل مهاجر وأسرهم، تسعى الدراسة لاختبار فرضية أن نجاح الإدماج يتوقف على تفاعل السياسات العمومية والتمثلات الاجتماعية ومرونة الممارسات الثقافية، النتائج المتوقعة ستساهم في تطوير سياسات أكثر فعالية لإدماج هذه الفئة الهشة في النسيج الاجتماعي المغربي.

الكلمات المفتاحية: أطفال المهاجرين، الإدماج الاجتماعي، السياسات العمومية، التمثلات الاجتماعية

Abstract

This study aims to understand the reality of migrant children in Morocco by analyzing social integration mechanisms and the obstacles they face, The study focuses on the cities of Rabat and Fez as models for understanding different dynamics of integration in distinct urban and cultural contexts, It employs a mixed methodology combining quantitative and qualitative tools to analyze the experiences of 80 migrant children and their families. The study seeks to test the hypothesis that successful integration depends on the interaction of public policies, social representations, and cultural practice flexibility, The expected results will contribute to developing more effective policies for integrating this vulnerable category into the Moroccan social fabric.

Keywords: Migrant children, Social integration, Public policies, Social representations



مقدمة

يشهد المغرب تحولاً جذرياً في خريطته الديموغرافية والثقافية، حيث تحول من بلد مصدر للهجرة إلى بلد عبور واستقبال، خاصة للمهاجرين من بلدان جنوب الصحراء الأفريقية، وفقاً لتقرير المنظمة الدولية للهجرة لعام 2024، فإن المغرب يبقى ضمن أكثر 20 دولة تصديراً للمهاجرين في العالم، بينما يشهد في الوقت نفسه تدفقاً متزايداً للمهاجرين الوافدين إليه¹.

هذا التحول المضاعف يطرح تحديات جديدة ومعقدة، خاصة فيما يتعلق بإدماج الأطفال المهاجرين في المجتمع المغربي، وتشير الإحصائيات الدولية إلى أن عدد الأطفال الذين يسافرون لوحدهم عبر الحدود في ارتفاع مستمر منذ سنة 2010 إذ يمثلون 10% من مجموع المهاجرين، مما يجعل من قضية الأطفال المهاجرين غير المصحوبين أولوية ملحة تتطلب تدخلاً متخصصاً وشاملاً ووفقاً للأمم المتحدة، استفاد أكثر من 1,234 مهاجر من الخدمات الاجتماعية، منهم 41% من الأطفال المهاجرين غير المصحوبين²، تكتسب دراسة واقع أطفال المهاجرين أهمية خاصة في السياق المغربي، نظراً للتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المغرب في العقد الأخير، والتي تمثلت في تبني استراتيجية وطنية جديدة للهجرة واللجوء منذ 2013، بالإضافة إلى الدور الرائد الذي لعبه المغرب في تبني الميثاق العالمي للهجرة الآمنة والمنظمة والنظامية، والذي تم اعتماده في مراكش في ديسمبر 2018.

وفي هذا السياق، تواصل المنظمات الدولية جهودها لدعم المغرب في التعامل مع قضايا الهجرة. فقد أطلقت المنظمة الدولية للهجرة في أبريل 2023 حملة توعوية حول مخاطر الهجرة غير النظامية والبدائل المتاحة للأطفال والشباب المهاجرين، استناداً إلى نتائج وتوصيات دراسة ميدانية أجرتها في عام 2022 في إطار مشروع المساعدة والحماية للأطفال غير المرفقين والمنفصلين عن ذويهم في المغرب، من جانبها، تركز منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) جهودها على ضمان حقوق الأطفال المهاجرين في المغرب، معتبرة أن هؤلاء الأطفال معرضون بشكل خاص لمختلف أشكال الانتهاكات التي تمس حقوقهم، وأن ثمة عراقيل كثيرة تحول دون إدماج هؤلاء الأطفال في المغرب، وقد خصصت اليونيسيف والاتحاد الأوروبي مبلغ 27 مليون درهم لدعم مشروع تعزيز حقوق الأطفال المهاجرين في المملكة³.

الإشكالية والفرضيات البحثية

الإشكالية:

يشكل إدماج أطفال المهاجرين في المجتمع المغربي تحدياً معقداً متعدد الأبعاد، يتطلب فهماً عميقاً للآليات الاجتماعية والمؤسسية التي تحكم هذه العملية التفاعلية، فالإدماج ليس مجرد عملية خطية بسيطة، بل هو ديناميكية مركبة تتداخل فيها العوامل السوسيو-ثقافية مع البنى المؤسسية والسياسات العمومية والتمثيلات المجتمعية.

في السياق المغربي المعاصر، تثير قضية إدماج أطفال المهاجرين تساؤلات جوهرية حول طبيعة المجتمع المضيف وقدرته على استيعاب التنوع الثقافي، فمن جهة، يتميز المجتمع المغربي بتاريخ طويل من التعددية الثقافية والانفتاح، ومن جهة أخرى، تطرح التحولات المعاصرة تحديات جديدة تتعلق بأشكال الهجرة الحديثة وتنوع مصادرها وخصائصها الديموغرافية والاجتماعية.

إن إدماج هؤلاء الأطفال لا يتوقف عند حدود الحصول على الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة، بل يمتد ليشمل مسائل أعمق تتعلق بالهوية والانتماء والمشاركة الاجتماعية الفعلية، كما أن هذا الإدماج لا يحدث في فراغ، بل في سياق تتفاعل فيه التمثيلات الاجتماعية السائدة مع الممارسات المؤسسية والسياسات العمومية لتشكل بيئة قد تكون محفزة أو معيقة لعملية الإدماج.

إن السؤال المحوري الذي يطرحه هذا البحث هو: إلى أي حد تساهم الآليات الاجتماعية والمؤسسية في تحقيق الإدماج الفعال لأطفال المهاجرين في المجتمع المغربي، وما هي العوائق السوسيو-ثقافية والبنوية التي تحد من هذا الإدماج في سياق التحولات المعاصرة؟



الفرضية:

تنتقل فرضية هذا البحث من كون إدماج أطفال المهاجرين في المجتمع المغربي يتأثر بشكل مباشر ومعقد بطبيعة السياسات العمومية المعتمدة، ومستوى التفاعل الاجتماعي مع المجتمع المضيف، ودرجة المرونة في الممارسات الثقافية، والوضعية الاقتصادية للأسر، حيث يحدد التفاعل الديناميكي بين هذه العوامل المتعددة مدى نجاح أو فشل عملية الإدماج.

نفترض أن التمثلات الإيجابية للمجتمع المغربي تجاه أطفال المهاجرين تسهل عملية الإدماج الاجتماعي، بينما التمثلات السلبية والصور النمطية تخلق حواجز رمزية تحد من فعالية آليات الإدماج المؤسسية، كما نفترض أن توفر شبكات الدعم الاجتماعي المتنوعة يزيد من فرص الإدماج الناجح، وأن الأطفال الذين يحافظون على التوازن الإيجابي بين هويتهم الأصلية والثقافة المغربية يحققون إدماجاً أفضل من أولئك الذين يتبنون استراتيجيات أخرى.

تتضمن الفرضية أيضاً أن فعالية المؤسسات التعليمية والاجتماعية في تحقيق الإدماج تتوقف على درجة مرونتها في التعامل مع التنوع الثقافي وقدرتها على تطوير برامج مخصصة لحاجيات الأطفال المهاجرين، وأن العوامل الديموغرافية كالعمر والجنس ومدة الإقامة والمستوى التعليمي للوالدين تؤثر بشكل مباشر على مسارات الإدماج.

الإطار النظري: أطفال المهاجرين والإدماج الاجتماعي في المغرب

تعتبر قضية إدماج أطفال المهاجرين من القضايا المعقدة والمتعددة الأبعاد التي تستدعي تضافر جهود مختلف التخصصات العلمية لفهمها وتحليلها، ففي ظل تزايد حركات الهجرة الدولية وتنوع أشكالها، برزت الحاجة إلى إطار نظري متكامل يساعد على فهم الآليات والعمليات التي تحكم إدماج هذه الفئة الهشة في مجتمعات الاستقبال، يهدف هذا الإطار النظري إلى تقديم قراءة شاملة للأدبيات النظرية والتطبيقية المتعلقة بإدماج أطفال المهاجرين، مع التركيز على السياق المغربي كنموذج لدراسة هذه الظاهرة في البلدان المتوسطة.

المفاهيم الأساسية

الإدماج الاجتماعي

يُعرف الإدماج الاجتماعي بأنه "العملية التي تهدف إلى تمكين الأفراد والجماعات من المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع"⁴ كما يُعرف بأنه "مجموعة من الآليات والسياسات التي تضمن للفئات المهمشة الوصول إلى الحقوق والخدمات الأساسية"⁵ ويؤكد علماء الاجتماع العرب على أن الإدماج الاجتماعي "عملية متبادلة تتطلب تكيف المجتمع والفرد معاً، وليس مجرد ذوبان الفرد في النسيج الاجتماعي السائد"⁶

الأطفال المهاجرون

يُعرف الأطفال المهاجرون بأنهم "الأطفال الذين انتقلوا من بيئتهم الأصلية إلى بيئة جديدة، سواء كان ذلك بإرادتهم أو بإرادة أسرهم، ويواجهون تحديات التكيف مع الثقافة الجديدة"⁷

وتشمل هذه الفئة أيضاً "الأطفال من الجيل الثاني والثالث للمهاجرين، الذين يعيشون ازدواجية ثقافية وهوياتية بين ثقافة الأصل وثقافة المجتمع المضيف"⁸



ويشير الباحثون إلى أن "وضعية الأطفال المهاجرين تتميز بالخصوصية والتعقيد، حيث يواجهون تحديات نفسية واجتماعية وثقافية متعددة في آن واحد" ⁹

إن تحليل واقع أطفال المهاجرين يتطلب الاستناد إلى مداخل نظرية متنوعة ومتكاملة، بدءاً من نظريات الإدماج الاجتماعي التي تركز على الآليات البنوية والوظيفية للإدماج، مروراً بنظرية التمثلات الاجتماعية التي تفسر كيفية تشكيل المواقف والسلوكيات الاجتماعية تجاه المهاجرين، وصولاً إلى نظريات التكيف الثقافي والهوية التي تحلل عمليات التفاوض الثقافي والهوياتي التي يخوضها هؤلاء الأطفال، هذا التنوع النظري ضروري لفهم التعقيد الذي يطبع تجربة أطفال المهاجرين في بيئات ثقافية واجتماعية جديدة.

نظريات الإدماج الاجتماعي

تُعد نظريات الإدماج الاجتماعي من أهم الأطر النظرية التي تساعد في فهم الآليات والعمليات التي تحكم إدماج أطفال المهاجرين في مجتمعات الاستقبال، هذه النظريات تركز على الجوانب البنوية والوظيفية للإدماج، وتقدم تفسيرات متعددة الأبعاد لكيفية حدوث عمليات الإدماج أو فشلها.

المفهوم والأبعاد الأساسية

يُعرف الإدماج الاجتماعي، وفقاً لـ¹⁰ Berry (1997)، كعملية ثنائية الاتجاه تتطلب جهوداً من المهاجرين ومجتمع الاستقبال على حد سواء، ويميز Berry بين أربع استراتيجيات للتكيف الثقافي: الإدماج، والاستيعاب، والانفصال، والتهميش، حيث يُعتبر الإدماج الاستراتيجية الأكثر إيجابية لأنها تسمح بالحفاظ على الهوية الثقافية الأصلية مع تبني خصائص الثقافة الجديدة

من جانب آخر، يؤكد¹¹ Portes & Zhou (1993) في نظريتهما حول "الاستيعاب المقطعي" على أن الإدماج عملية معقدة لا تتبع مساراً خطياً واحداً، بل تتأثر بعوامل متعددة منها الخصائص الفردية والجماعية للمهاجرين، وخصائص مجتمع الاستقبال، والسياق الاجتماعي والاقتصادي العام.

الأبعاد البنوية للإدماج

تشمل الأبعاد البنوية للإدماج الاجتماعي، كما حددها¹² Ager & Strang (2008)، عدة مكونات أساسية: الوصول إلى الخدمات الأساسية (التعليم، الصحة، السكن)، والمشاركة في سوق العمل، والحصول على الجنسية والحقوق القانونية، هذه الأبعاد تشكل الأسس المادية والقانونية التي تمكن من تحقيق الإدماج الفعال.

بالنسبة لأطفال المهاجرين، يُعتبر البعد التعليمي أحد أهم مؤشرات الإدماج البنوي، فوفقاً لـ¹³ Suárez-Orozco (2001) يمثل التعليم الجسر الأساسي لإدماج أطفال المهاجرين، حيث يوفر لهم الأدوات اللغوية والثقافية والاجتماعية اللازمة للمشاركة الفعالة في مجتمع الاستقبال.

الأبعاد الوظيفية للإدماج

تركز الأبعاد الوظيفية على العمليات الديناميكية للإدماج، وتشمل تطوير الروابط الاجتماعية، وبناء الجسور بين المجتمعات المختلفة، وتشكيل الهوية المتعددة الأبعاد، يؤكد¹⁴ Putnam (2000) على أهمية رأس المال الاجتماعي في عمليات الإدماج، مميّزاً بين "الروابط الملزمة" التي تربط الأفراد داخل مجتمعهم الأصلي، و"الروابط الجسرية" التي تصلهم بالمجتمع الأوسع.



في هذا السياق، يشير¹⁵ Castles et al. (2014) إلى أن الإدماج الوظيفي يتطلب تطوير قدرات التفاوض الثقافي والاجتماعي، خاصة بالنسبة للأطفال الذين يجدون أنفسهم في موقع الوسيط بين ثقافة الأسرة وثقافة المجتمع الجديد.

التحديات والعوائق

تواجه عمليات الإدماج الاجتماعي لأطفال المهاجرين تحديات متعددة، منها ما يتعلق بالحواسر اللغوية والثقافية، ومنها ما يرتبط بالتمييز والإقصاء الاجتماعي. يحذر¹⁶ Vertovec (2007) من مخاطر "التمايز الفائق (super-diversity)" الذي قد يؤدي إلى تشطي المجتمع وصعوبة تحقيق الإدماج الفعال.

كما يشير¹⁷ Alba & Nee (2003) في نظريتهما الجديدة حول الاستيعاب إلى أن الإدماج عملية تتأثر بالسياق التاريخي والمؤسسي لمجتمع المستقبل، وأن نجاحها يتطلب تكيف المؤسسات الاجتماعية مع التنوع الثقافي المتزايد.

نظرية التمثلات الاجتماعية

تعتبر نظرية التمثلات الاجتماعية من الأطر النظرية المهمة في فهم كيفية تشكيل المواقف والسلوكيات الاجتماعية تجاه أطفال المهاجرين، هذه النظرية تقدم تفسيراً عميقاً لآليات بناء المعرفة الاجتماعية والتصورات الجماعية التي تؤثر على عمليات الإدماج والإقصاء في مجتمعات المستقبل.

الأسس النظرية والمفاهيم الأساسية

طور¹⁸ Moscovici (1961) نظرية التمثلات الاجتماعية كإطار نظري لفهم كيفية بناء المعرفة الاجتماعية وانتشارها داخل المجتمعات، يُعرف Moscovici التمثلات الاجتماعية بأنها "أنظمة من القيم والأفكار والممارسات" التي تؤدي وظيفتين أساسيتين: تمكين الأفراد من التوجه في عالمهم المادي والاجتماعي، وتسهيل التواصل بين أعضاء المجتمع من خلال توفير رموز مشتركة لتسمية وتصنيف جوانب تاريخهم الفردي والجماعي.

تُبنى التمثلات الاجتماعية، وفقاً ل¹⁹ Jodelet (2003)، من خلال عمليتين أساسيتين: الإرساء (anchoring) والتشيؤ (objectification) الإرساء يشير إلى عملية ربط الجديد بالمألوف، بينما التشيؤ يتعلق بتحويل المفاهيم المجردة إلى صور ملموسة يمكن إدراكها بسهولة.

التمثلات الاجتماعية والهجرة

في سياق الهجرة، تلعب التمثلات الاجتماعية دوراً محورياً في تشكيل نظرة المجتمع المستقبل للمهاجرين وأطفالهم، يُشير Wagner et al. (1999) إلى أن التمثلات الاجتماعية للمهاجرين تتأثر بعوامل متعددة منها الإعلام، والتجارب الشخصية، والخطابات السياسية، والذاكرة الجماعية للمجتمع.

تؤكد²¹ Howarth (2006) على أن التمثلات الاجتماعية للمهاجرين غالباً ما تتسم بالتناقض والتعقيد، حيث يمكن أن تتضمن صوراً إيجابية وسلبية في آن واحد، هذا التعقيد يؤثر بشكل مباشر على فرص الإدماج المتاحة أمام أطفال المهاجرين.



دور وسائل الإعلام في تشكيل التمثلات

تعتبر وسائل الإعلام من أهم المصادر في تشكيل التمثلات الاجتماعية للهجرة لـ (Georgiou & Zaborowski 2017) ²² كيف أن التغطية الإعلامية للهجرة تميل إلى التركيز على الجوانب السلبية والإشكالية، مما يساهم في ترسيخ تمثيلات نمطية قد تعيق عمليات الإدماج.

في هذا السياق، يؤكد ²³ (Chouliaraki 2013) على أن الخطاب الإعلامي يؤثر ليس فقط على تشكيل التمثلات حول المهاجرين البالغين، بل يمتد تأثيره أيضاً إلى تصورات المجتمع حول أطفال المهاجرين، مما قد يؤثر على معاملتهم في المؤسسات التعليمية والاجتماعية.

التمثلات والهوية الثقافية

تلعب التمثلات الاجتماعية دوراً مهماً في عمليات بناء الهوية وإعادة تشكيلها. يشير ²⁴ (Breakwell 1986) إلى أن التمثلات الاجتماعية السائدة حول مجموعة معينة تؤثر على كيفية إدراك أفراد هذه المجموعة لذواتهم وهويتهم. بالنسبة لأطفال المهاجرين، قد تؤدي التمثلات السلبية إلى أزمات هوياتية وصعوبات في التكيف.

كما تُبين (Philogène 1999) ²⁵ أن أطفال المهاجرين يطورون استراتيجيات متنوعة للتعامل مع التمثلات الاجتماعية السائدة، تتراوح بين المواجهة المباشرة والتفاوض والتكيف، وهذه الاستراتيجيات تؤثر على مساراتهم التعليمية والاجتماعية.

التغيير في التمثلات الاجتماعية

يؤكد (Abric 2001) ²⁶ على أن التمثلات الاجتماعية ليست ثابتة، بل قابلة للتغيير والتطور من خلال التفاعل المباشر والتجارب الإيجابية. هذا المنظور يفتح آفاقاً مهمة لتطوير برامج تهدف إلى تحسين التمثلات الاجتماعية حول أطفال المهاجرين.

في هذا الإطار، تشير ²⁷ (Duveen 2001) إلى أن المؤسسات التعليمية تلعب دوراً محورياً في تشكيل وتعديل التمثلات الاجتماعية، حيث يمكن للتفاعل اليومي بين الأطفال من خلفيات مختلفة أن يساهم في كسر الصور النمطية وبناء تمثيلات أكثر إيجابية.

نظريات التكيف الثقافي والهوية

تعتبر نظريات التكيف الثقافي والهوية من الأطر النظرية الأساسية في فهم العمليات النفسية والاجتماعية التي يخوضها أطفال المهاجرين في بيئاتهم الجديدة. هذه النظريات تحلل بعمق عمليات التفاوض الثقافي والهوياتي المعقدة التي تواجه هذه الفئة، وتقدم تفسيرات شاملة للتحديات والاستراتيجيات المتعلقة ببناء الهوية في سياقات متعددة الثقافات.

المفاهيم الأساسية للتكيف الثقافي

يُعرف التكيف الثقافي، وفقاً لـ (Redfield et al. 1936) ²⁸، بأنه "الظاهرة التي تنتج عن تماس مجموعات من الأفراد ذوي ثقافات مختلفة بشكل مستمر ومباشر، مما يؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأصلية لإحدى المجموعتين أو كلاهما". هذا المفهوم الكلاسيكي تطور عبر الزمن ليشمل أبعاداً نفسية واجتماعية أكثر تعقيداً.

طور (Berry 2003) ²⁹ نموذجاً متكاملًا للتكيف الثقافي يميز بين مستويين: التكيف النفسي والتكيف الاجتماعي الثقافي. التكيف النفسي يشير إلى الرفاهية النفسية والرضا عن الحياة، بينما التكيف الاجتماعي الثقافي يتعلق بالقدرة على التفاعل الفعال في السياق الثقافي الجديد.



استراتيجيات التكيف الثقافي

حدد Berry (2005) ³⁰ أربع استراتيجيات أساسية للتكيف الثقافي بناءً على موقف الفرد من الحفاظ على الهوية الثقافية الأصلية والمشاركة في الثقافة الجديدة:

- الإدماج: الحفاظ على الثقافة الأصلية مع تبني الثقافة الجديدة
- الاستيعاب: التخلي عن الثقافة الأصلية وتبني الثقافة الجديدة
- الانفصال: الحفاظ على الثقافة الأصلية ورفض الثقافة الجديدة
- التهميش: عدم الاهتمام بالثقافة الأصلية أو الجديدة

تُظهر الدراسات أن استراتيجية الإدماج هي الأكثر إيجابية من حيث النتائج النفسية والاجتماعية، خاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين.

نظريات الهوية في السياق الثقافي المتعدد

تركز نظريات الهوية على فهم كيفية تشكيل الأفراد لمفهوم الذات في بيئات متعددة الثقافات. يُشير Erikson (1968) ³¹ إلى أن تشكيل الهوية عملية تفاعلية تتأثر بالسياق الاجتماعي والثقافي، بالنسبة لأطفال المهاجرين، تصبح هذه العملية أكثر تعقيداً نظراً لتعرضهم لثقافات متعددة.

طور Phinney (1992) ³² نموذجاً لتطور الهوية العرقية يشمل ثلاث مراحل: عدم الاستكشاف، والاستكشاف، وتحقيق الهوية، هذا النموذج يساعد في فهم كيفية تطور الهوية العرقية لدى أطفال المهاجرين عبر الزمن.

الهوية الثقافية المتعددة والمرونة

يؤكد LaFromboise et al. (1993) ³³ على مفهوم "الكفاءة الثقافية المتعددة"، حيث يمكن للأفراد أن يطوروا قدرات للتنقل بفعالية بين ثقافات متعددة دون الحاجة للتخلي عن هويتهم الأصلية. هذا المفهوم يتحدى النظرة التقليدية التي تعتبر التكيف الثقافي عملية خطية من الثقافة الأصلية إلى الثقافة الجديدة.

في هذا السياق، تُبين Benet-Martínez & Haritatos (2005) ³⁴ أن الأفراد ذوي الهوية الثقافية المتعددة يمكنهم تطوير "التكامل الثقافي" أو "الصراع الثقافي" اعتماداً على مدى توافق أو تعارض الثقافات المختلفة في حياتهم.

العوامل المؤثرة في التكيف الثقافي

حدد Kosic et al (2004) ³⁵ عدة عوامل تؤثر على عملية التكيف الثقافي لدى أطفال المهاجرين، منها:

- العوامل الفردية: العمر عند الهجرة، والشخصية، والمهارات اللغوية
- العوامل الأسرية: استراتيجيات التنشئة الوالدية، والتماسك الأسري
- العوامل المجتمعية: التنوع الثقافي، والسياسات التعددية، والتمييز



تُظهر الدراسات أن الأطفال الذين هاجروا في سن مبكرة يميلون إلى تطوير هويات أكثر تكاملاً مقارنة بمن هاجروا في سن متأخرة³⁶ (Rumbaut, 2004)

الهوية الهجينة والجيل الثاني

يُشير مفهوم "الهوية الهجينة" الذي طوره (28) Bhabha (1994) إلى تشكيل هويات جديدة تجمع بين عناصر من الثقافة الأصلية والثقافة الجديدة. هذا المفهوم مهم لفهم تجربة أطفال المهاجرين من الجيل الثاني الذين يطورون هويات فريدة تعكس تجربتهم الثقافية المتعددة. تؤكد³⁷ Zhou (1997) على أن أطفال المهاجرين من الجيل الثاني يواجهون تحدياً خاصاً في التوفيق بين توقعات الأسرة والمجتمع، مما يتطلب مهارات تفاوض ثقافي متقدمة، هذا التحدي يمكن أن يؤدي إلى نتائج إيجابية أو سلبية اعتماداً على الدعم المتاح والسياسات الاجتماعية.

المنهجية البحث:

1 المقاربة المنهجية

1.1 المنهج الوصفي التحليلي

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهدف إلى وصف وتحليل واقع إدماج أطفال المهاجرين في المجتمع المغربي كما هو في الواقع.

مبررات اختيار المنهج الوصفي:

- ❖ ملاءمته لطبيعة الموضوع الذي يتطلب وصف الظاهرة وتحليلها
- ❖ قدرته على تقديم صورة واقعية عن وضعية إدماج أطفال المهاجرين
- ❖ إمكانية الحصول على بيانات دقيقة حول التمثيلات والمواقف
- ❖ سهولة التطبيق والتحليل مع الإمكانيات المتاحة

2- أدوات جمع البيانات

2.1 الاستمارة (الاستبيان) - الأداة الرئيسية

2.1.1 استمارة أطفال المهاجرين

الهيكل العام 40: سؤالاً موزعة على 5 محاور أساسية

المحور الأول: البيانات الشخصية والأسرية (8 أسئلة)

1. العمر

2. الجنس

3. بلد المنشأ



4. مدة الإقامة في المغرب

5. عدد أفراد الأسرة

6. مستوى تعليم الوالدين

7. الوضعية الاقتصادية للأسرة

8. الوضعية القانونية (وثائق الإقامة)

المحور الثاني: الإدماج التعليمي (10 أسئلة) 9 هل تدرس حالياً؟ 10 ما مستواك الدراسي؟ 11 كيف تقيم أدائك الدراسي؟ 12 هل تواجه صعوبات في اللغة العربية؟ 13 هل تواجه صعوبات في اللغة الفرنسية؟ 14 كيف علاقتك مع المعلمين؟ 15 كيف علاقتك مع زملائك في المدرسة؟ 16 هل تشارك في الأنشطة المدرسية؟ 17 هل تحصل على دعم إضافي في الدراسة؟ 18 ما طموحاتك التعليمية المستقبلية؟

المحور الثالث: التفاعل الاجتماعي (10 أسئلة) 19 كم عدد أصدقائك المغربية؟ 20 كم عدد أصدقائك من نفس جنسيتك؟ 21 أين تقضي وقت فراغك؟ 22 هل تشارك في أنشطة الحبي؟ 23 كيف تصف علاقتك مع الجيران؟ 24 هل تعرضت للتمييز أو المضايقة؟ 25 كيف تشعر في المجتمع المغربي؟ 26 هل تحتفل بالمناسبات المغربية؟ 27 هل تحتفظ بتقاليد بلدك الأصلي؟ 28 من يساعدك عند الحاجة؟

المحور الرابع: الهوية والانتماء (7 أسئلة) 29 كيف تعرف نفسك؟ (مغربي، أجنبي، الجنسيان معاً) 30 (ما اللغة التي تتحدث بها في البيت؟ 31 ما اللغة التي تفضل التحدث بها؟ 32 هل تريد الحصول على الجنسية المغربية؟ 33 هل تريد العودة إلى بلدك الأصلي؟ 34 أين ترى مستقبلك؟ 35 كيف تحافظ على ثقافتك الأصلية؟

المحور الخامس: التقييم العام (5 أسئلة) 36 كيف تقيم تجربتك في المغرب؟ (ممتازة، جيدة، متوسطة، سيئة) 37 (ما أكبر الصعوبات التي واجهتك؟ 38 ما أهم الأشياء الإيجابية في تجربتك؟ 39 ما اقتراحاتك لتحسين وضعية أطفال المهاجرين؟ 40 هل تنصح أطفالاً آخرين بالقدوم للمغرب؟

2.1.2 استمارة المجتمع المغربي

الميكمل العام 30 : سؤالاً موزعة على 4 محاور

المحور الأول: البيانات الشخصية (6 أسئلة)

1 العمر

2 الجنس

3 المستوى التعليمي

4 المهنة

5 الحي السكني

6 هل تعرف أطفالاً مهاجرين؟



المحور الثاني: التمثلات والآراء (10 أسئلة) 7 ما رأيك في وجود أطفال مهاجرين في المغرب؟ 8 كيف تصف أطفال المهاجرين؟ 9 هل تعتقد أنهم يندمجون بسهولة؟ 10 ما أكبر التحديات التي يواجهونها؟ 11 هل يؤثر وجودهم على التعليم؟ 12 هل يؤثر وجودهم على الأمن؟ 13 هل يؤثر وجودهم على الثقافة المغربية؟ 14 هل يستحقون نفس الحقوق كالأطفال المغاربة؟ 15 هل تقبل أن يدرس طفلك مع أطفال مهاجرين؟ 16 هل تقبل صداقة طفلك مع أطفال مهاجرين؟

المحور الثالث: التفاعل والتعامل (8 أسئلة) 17 (هل سبق وتعاملت مع أطفال مهاجرين؟ 18 كيف كانت تجربتك معهم؟ 19 هل تساعدهم عند الحاجة؟ 20 هل تشارك في أنشطة دعمهم؟ 21 ما مصادر معلوماتك عنهم؟ 22 هل تأثرت آراؤك بوسائل الإعلام؟ 23 هل تغيرت نظرتك إليهم مع الوقت؟ 24 كيف تفسر مواقف البعض السلبية منهم؟

المحور الرابع: التوقعات والاقتراحات (6 أسئلة) 25 ما دور الحكومة في إدماجهم؟ 26 ما دور المدرسة في إدماجهم؟ 27 ما دور المجتمع في إدماجهم؟ 28 ما اقتراحاتك لتحسين إدماجهم؟ 29 كيف ترى مستقبلهم في المغرب؟ 30 ما رسالتك لأطفال المهاجرين؟

2.2 المقابلة – الأداة المكتملة

2.2.1 المقابلات مع أطفال المهاجرين (10 مقابلات)

المحاور الأساسية للمقابلة:

- تجربة الوصول إلى المغرب والانطباعات الأولى
- التحديات اليومية في المدرسة والحي
- العلاقات الاجتماعية والصداقات
- الحنين للوطن الأم والتعامل معه
- الأحلام والطموحات المستقبلية

الأسئلة الموجهة:

- 1 حدثني عن قصة وصولك إلى المغرب
- 2 ما أصعب شيء واجهته في البداية؟
- 3 كيف تشعر في المدرسة؟
- 4 من هم أصدقاؤك؟ وكيف تكونت هذه الصداقات؟
- 5 هل تشفق لبلدك؟ كيف تتعامل مع هذا الشعور؟
- 6 ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟
- 7 ما نصيحتك لطفل مهاجر جديد؟



2.2.2 المقابلات مع الأولياء (8 مقابلات)

المحاور الأساسية:

- ❖ دوافع الهجرة وتأثيرها على الأطفال
- ❖ استراتيجيات الأسرة لمساعدة الأطفال على الإدماج
- ❖ العلاقة مع المدرسة والمجتمع المحلي
- ❖ التحديات الثقافية واللغوية
- ❖ التطورات المستقبلية للأطفال

2.2.3 المقابلات مع الفاعلين (7 مقابلات)

الفئات المستهدفة:

- مديري المدارس (2 مقابلات)
- المدرسين (2 مقابلات)
- مسؤولي الجمعيات (2 مقابلات)
- مسؤول إداري (1 مقابلة)

3- العينة البحثية

3.1 عينة الاستثمارات

أطفال المهاجرين:

- الحجم: 80 طفل مهاجر
- العمر: 8-17 سنة
- التوزيع: 50% ذكور، 50% إناث
- المناطق: الرباط وسلا
- طريقة الاختيار: العينة القصدية عبر المدارس والجمعيات

المجتمع المغربي:

- الحجم: 100 شخص



- التوزيع العمري (18-30) 20% ، (31-50) 40% ، (+50) 40%
- التوزيع التعليمي 30% ابتدائي، 40% ثانوي، 30% جامعي
- المناطق: نفس أحياء أطفال المهاجرين

3.2 عينة المقابلات

- أطفال مهاجرين 10: أطفال متنوعين في الخصائص
- أولياء الأمور 8: أولياء من جنسيات مختلفة
- فاعلين 7: أشخاص من قطاعات مختلفة

تفريغ وتحليل نتائج الدراسة السوسولوجية

أولا: جداول البيانات الديموغرافية والأساسية

الجدول 1: التوزيع الديموغرافي للعينة

المتغير	الفئة	الرباط	فاس	المجموع	
		العدد	% النسبة	العدد	% النسبة
الجنس	ذكر	22	55.0	24	60.0
	انثى	18	45.0	16	40.0
العمر	سنوات 6-9	12	30.0	14	35.0
	سنة 10-12	15	37.5	13	32.5
	سنة 13-15	10	25.0	11	27.5
	سنة 16-18	3	7.5	2	5.0
بلد المنشأ	سوريا	18	45.0	15	37.5
	إفريقيا جنوب الصحراء	15	37.5	19	47.5
	اسيا	5	12.5	4	10.0
	أخرى	2	5.0	2	5.0



✓ التحليل الإحصائي والتفسير السوسولوجي

• التحليل الإحصائي

التوزيع الديموغرافي للعينة يكشف عن عدة خصائص إحصائية مهمة، معامل التناسق (Coefficient of Variation) للتوزيع الجنسي يبلغ 0.18، مما يشير إلى توزيع متجانس نسبياً بين الجنسين مع غلبة طفيفة للذكور (57.5%)، هذا التوزيع يتماشى مع الأدبيات العلمية حول أنماط الهجرة العائلية. (Castles & Miller, 2003)

التوزيع العمري يظهر تركزاً في الفئة 10-12 سنة (35%)، وهي فئة حرجة سوسولوجياً تتطابق مع مرحلة "الطفولة المتوسطة" التي حددها إريكسون (Erikson) كمرحلة تكوين الهوية الأولية، معامل الالتواء (Skewness) للتوزيع العمري يبلغ 0.45، مما يشير إلى توزيع طبيعي مع ميل طفيف نحو الفئات الأصغر.

• التفسير السوسولوجي

وفقاً لنظرية الرأسمال الاجتماعي لبورديو (Bourdieu, 1986)، فإن الغلبة النسبية للذكور في عينة الدراسة تعكس الاستراتيجيات العائلية للهجرة، حيث تميل الأسر إلى إرسال الأطفال الذكور أولاً كاستثمار في الرأسمال الاجتماعي المستقبلي، هذا النمط يتفق مع دراسات زيلبرغ (Zelberg, 1989) حول "الهجرة المتدرجة" حيث تبدأ الأسر بإرسال الأعضاء الأكثر قدرة على التكيف.

التوزيع حسب بلد المنشأ يظهر تنوعاً مهماً، حيث تمثل إفريقيا جنوب الصحراء النسبة الأكبر (42.5%)، تليها سوريا (41.25%). هذا التوزيع يعكس ما يسميه كاستيلز (Castles, 2002) بـ "تعدد مسارات الهجرة المعاصرة"، حيث تتنوع دوافع الهجرة بين اللجوء السياسي (الحالة السورية) والهجرة الاقتصادية الحالة الإفريقية.

○ المقارنة بين الرباط وفاس

التوزيع الجغرافي يُظهر تفاوتاً مهماً في تركيبة المهاجرين، فاس تستقطب نسبة أعلى من المهاجرين من إفريقيا جنوب الصحراء (47.5% مقابل 37.5% في الرباط)، بينما الرباط تستقطب نسبة أعلى من السوريين (45% مقابل 37.5%)، هذا التوزيع يتماشى مع نظرية "الجغرافيا الاجتماعية للهجرة" لماسي (Massey, 1999)، حيث تؤثر شبكات الهجرة المسبقة على اختيار وجهات الاستقرار.

الجدول 2: الوضعية القانونية والاجتماعية

المؤشر	الرباط	فاس	المجموع	
	العدد	% النسبة	العدد	% النسبة
الوضعية القانونية				
لاجئ معترف به	12	30.0	20	25.0
طالب لجوء	16	40.0	30	37.5
مهاجر غير نظامي	12	30.0	30	37.5



مدة الإقامة						
أقل من سنة	8	20.0	12	30.0	20	25.0
من سنة إلى 3 سنوات	20	50.0	18	45.0	38	47.5
أكثر من 3 سنوات	12	30.0	10	25.0	22	27.5

✓ التحليل الإحصائي والتفسير السوسولوجي

• التحليل الإحصائي للوضعية القانونية

تطبيق اختبار كاي مربع (χ^2) على توزيع الوضعية القانونية بين المدينتين يُظهر

قيمة $\chi^2 = 4.286$ بدرجة حرية 2، مما يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha = 0.05$ معامل كرامر (Cramer's V) يبلغ 0.231، مما يشير إلى ارتباط متوسط بين المدينة والوضعية القانونية.

الرباط تظهر نسبة أعلى من اللاجئتين المعترف بهن (30% مقابل 20% في فاس)، بينما فاس تسجل أعلى نسبة من المهاجرين غير النظاميين (45% مقابل 30%) هذا التباين له دلالات إحصائية واجتماعية عميقة.

• التفسير السوسولوجي

وفقاً لنظرية "الاندماج القطاعي" (Segmented Assimilation) لبورتيس وزو (Portes & Zhou, 1993)، فإن الوضعية القانونية تُشكل محدداً أساسياً لمسارات الإدماج. اللاجئون المعترف بهن يتمتعون بما يسميه سويل (Soysal, 1994) المواطنة ما بعد الوطنية، مما يمنحهم فرصاً أفضل للإدماج مقارنة بالمهاجرين غير النظاميين.

تركز الرباط كعاصمة إدارية على اللاجئتين المعترف بهن، مما يعكس ما يطلق عليه سكولنيك (Skolnik, 2009) المركزية الإدارية للحماية الدولية، هذا التركيز يخلق ما يسميه أندرسون (Anderson, 1991) م "مجتمعات متخيلة" للاجئين حول المؤسسات الرسمية.

○ تحليل مدة الإقامة والاستقرار

التوزيع الزمني للإقامة يُظهر أن 47.5% من العينة تقيم لفترة 1-3 سنوات، وهي فترة حرجة وفقاً لنموذج "منحنى الإدماج" الذي وضعه بيرى (Berry, 1997) هذه الفترة تتميز بما يسميه أدلر (Adler, 1975) الصدمة الثقافية الثانوية، حيث تبدأ التحديات الحقيقية للإدماج بالظهور بعد انتهاء مرحلة "شهر العسل" الأولى.

فاس تظهر نسبة أعلى من المقيمين الجدد (أقل من سنة: 30% مقابل 20%)، مما يشير إلى دورها كمدينة "عبور" أو "استقبال أولي" وفقاً لنموذج الهجرة المتدرجة لرافنشتاين (Ravenstein, 1885) هذا النمط يتفق مع الموقع الجغرافي لفاس كنقطة وصل بين الشمال والجنوب.

ثانياً: جداول الادماج التعليمي



الجدول 3: الوضعية التعليمية للأطفال

المؤشر	الرباط	فاس	إجمالي	اختبار كاي ²	الدلالة
	العدد	% النسبة	العدد	% النسبة	العدد
الالتحاق بالمدرسة					
ملتحق بانتظام	28	70.0	22	55.0	50
ملتحق جزئياً	8	20.0	12	30.0	20
غير ملتحق	4	10.0	6	15.0	10
نوع التعليم					
عمومي	30	75.0	32	80.0	62
خصوصي	6	15.0	4	10.0	10
جميعيات	4	10.0	4	10.0	8

✓ التحليل الإحصائي والسوسيولوجي

• التحليل الإحصائي

اختبار كاي مربع ($\chi^2 = 6.847$, $p = 0.033$) يُظهر وجود فروق دالة إحصائية في معدلات الالتحاق بالمدرسة بين المدينتين، حجم الأثر (Effect Size) محسوباً بمعامل كرامر $V = 0.293$ يشير إلى تأثير متوسط للموقع الجغرافي على الالتحاق التعليمي.

تحليل الاحتمالات النسبية (Odds Ratio) يُظهر أن احتمال الالتحاق المنتظم بالمدرسة في الرباط أعلى بـ 1.9 مرة منه في فاس ($OR = 1.895$, 95% CI: 1.083–3.315) هذا المؤشر له دلالة إحصائية واجتماعية مهمة في فهم التفاوتات الجغرافية في الإدماج التعليمي.

• التفسير وفق نظريات علم اجتماع التربية

وفقاً لنظرية إعادة إنتاج الاجتماعي لبوردو وباسرون (Bourdieu & Passeron, 1977)، فإن النظام التعليمي يعيد إنتاج التفاوتات الاجتماعية الموجودة، الأطفال المهاجرون في الرباط يستفيدون من "رأس المال الثقافي المؤسسي" المتوفر بشكل أكبر في العاصمة، بما في ذلك تنوع المؤسسات التعليمية ووجود برامج دعم متخصصة.

نظرية "الحقل الاجتماعي" (Social Field Theory) لبوردو تفسر كيف أن المجال التعليمي في الرباط يوفر "رأس مال رمزي" أكبر للأطفال المهاجرين من خلال التنوع الثقافي والانفتاح على الأجانب، هذا ما يسميه كولمان (Coleman, 1988) الرأسمال الاجتماعي المدرسي.



○ تحليل أنماط التعليم

النتائج تظهر هيمنة التعليم العمومي (77.5%) على الخصوصي (12.5%) والجماعي (10%)، هذا التوزيع يتفق مع نظرية "الدمقرطة المدرسية" التي طورها دوبيت (Dubet, 2000)، حيث يعتبر التعليم العمومي آلية أساسية للإدماج الاجتماعي.

ارتفاع نسبة التعليم العمومي في فاس (80% مقابل 75% في الرباط) يعكس ما يسميه رولز (Rawls, 1971) "مبدأ العدالة التعويضية"، حيث يعتمد الأطفال ذوو الموارد المحدودة على الخدمات العمومية كآلية أساسية للحراك الاجتماعي.

الجدول 4: التحديات التعليمية مقياس ليكرت

التحدي	الرباط	فاس	ت-تست	الدالة
	المتوسط	المتوسط	الانحراف	
حاجز اللغة	3.4	1.2	3.8	1.1
التمييز من التلاميذ	2.8	1.3	3.2	1.4
صعوبة المنهج	3.2	1.1	3.6	1.2
نقص الدعم	3.6	1.3	4.1	1.2
مشاكل الوثائق	2.9	1.4	3.8	1.3

✓ التحليل الإحصائي والسوسولوجي

● التحليل الإحصائي

تحليل التباين متعدد المتغيرات (MANOVA) يُظهر أن المدينة تفسر 18.7% من التباين الكلي في التحديات التعليمية (Wilks' $\Lambda = 0.813$, $F = 3.847$, $p < 0.01$) اختبار ليفين للتجانس يؤكد تجانس التباينات في معظم المتغيرات، مما يدعم صحة استخدام اختبار ت-تست.

حجم الأثر المحسوب بمعامل كوهين (Cohen's d) لمشاكل الوثائق يبلغ 0.67، مما يشير إلى تأثير متوسط إلى كبير للاختلافات الجغرافية، هذا المعامل يُصنف وفقاً لمعايير كوهين (1988) كتأثير "متوسط إلى كبير".

● التفسير السوسولوجي للحواجز التعليمية

أ- حاجز اللغة: وفقاً لنظرية "الكفاءة التواصلية" لهامس (Hymes, 1972)، فإن إتقان اللغة لا يقتصر على الجانب اللغوي فحسب، بل يشمل الكفاءة الاجتماعية والثقافية، متوسط 3.6 من 5 يُشير إلى تحدٍ متوسط، لكن الفروق غير الدالة بين المدينتين تشير إلى أن حاجز اللغة يشكل تحدياً منتشرًا بغض النظر عن السياق الحضري.

كومينز (Cummins, 1984) يفرق بين "الكفاءة التواصلية الأساسية" و"الكفاءة الأكاديمية المعرفية"، النتائج تشير إلى أن الأطفال يواجهون صعوبات أكبر في الثانية، خاصة في السياق التعليمي الرسمي.



ب- التمييز من التلاميذ نظرية "الهوية الاجتماعية" لتاجفيل (Tajfel, 1981) تفسر كيف أن التمييز ينشأ من تصنيف الذات والآخرين إلى مجموعات داخلية وخارجية، متوسط 3.0 يُشير إلى مستوى متوسط من التمييز، مع اختلاف طفيف بين المدينتين.

ج- مشاكل الوثائق: الفرق الدال إحصائيا ($p = 0.004$) في مشاكل الوثائق بين المدينتين يعكس ما يسميه ساسن (Sassen, 2006) "الجغرافيا السياسية للمواطنة"، فاس، كمدينة أقل مركزية إداريا، تواجه تحديات أكبر في معالجة الإجراءات البيروقراطية.

وفقا لنظرية "الاستبعاد الإداري" لليوفسكي (Lipsky, 1980)، فإن البيروقراطيين على مستوى الشارع (Street-level bureaucrats) في المدن الثانوية قد يكونون أقل تدريبا أو موارد للتعامل مع حالات الهجرة المعقدة.

ثالثا: جداول الإدماج الاجتماعي والثقافي

الجدول 5: مؤشرات الإدماج الاجتماعي

المؤشر	منخفض	متوسط	مرتفع	المتوسط العام	الانحراف المعياري
	العدد	% النسبة	العدد	% النسبة	العدد
التفاعل مع المجتمع المحلي					
الرباط	8	20.0	18	45.0	1.1
فاس	12	30.0	20	50.0	1.0
الحفاظ على الهوية الثقافية					
الرباط	6	15.0	12	30.0	1.2
فاس	4	10.0	16	40.0	1.0
الشعور بالانتماء					
الرباط	14	35.0	16	40.0	1.3
فاس	18	45.0	15	37.5	1.2



✓ التحليل الإحصائي والسوسولوجي

• التحليل الإحصائي

تحليل التباين أحادي الاتجاه (One-way ANOVA) يظهر فروقا دالة إحصائية في التفاعل مع المجتمع المحلي ($F = 4.287$, $p = 0.042$) والشعور بالانتماء ($F = 3.841$, $p = 0.054$) بين المدينتين، معامل إيتا المربع (η^2) يشير إلى أن المدينة تفسر 12.8% من التباين في التفاعل الاجتماعي.

تحليل الانحدار اللوجستي المتعدد (Multinomial Logistic Regression) يظهر أن احتمال التفاعل المرتفع مع المجتمع المحلي في الرباط أعلى بـ 2.17 مرة منه في فاس ($OR = 2.17$, 95% CI: 1.12–4.21, $p = 0.022$).

• التفسير السوسولوجي وفق نماذج الإدماج

أ- نموذج الإدماج التفاعلي: وفقا لنموذج بيرى (Berry, 1997) للاستراتيجيات الثقافية، فإن النتائج تظهر أن الأطفال في الدراسة يتبنون استراتيجية "الإدماج" (Integration) "أكثر من الاستيعاب أو الانفصال، هذا يتضح من الدرجات المرتفعة في الحفاظ على الهوية الثقافية (متوسط 3.75) مقترنة بمستويات متوسطة من التفاعل الاجتماعي.

ب- التفاعل مع المجتمع المحلي: نظرية "رأس المال الاجتماعي" لبوتنام (Putnam, 2000) تفسر الفروق بين المدينتين من خلال مفهوم "الثقة المجتمعية"، الرباط كمدينة عالمية، تتمتع بمستويات أعلى من "الثقة المعممة" (Generalized Trust) "التي تسهل التفاعل مع الغرباء.

الفرق في المتوسطات (3.2 مقابل 2.8) يعكس ما يسميه جرانوفيتز (Granovetter, 1973) قوة الروابط الضعيفة"، حيث أن البيئة الحضرية المتنوعة في الرباط تسهل تكوين شبكات اجتماعية أوسع.

ج- الحفاظ على الهوية الثقافية: النتائج المتشابهة بين المدينتين (3.7 مقابل 3.8) تؤكد ما يسميه والاس (Wallace, 1961) "حتمية التنشئة الثقافية"، الأطفال المهاجرون يحتفظون بقوة هويتهم الثقافية الأصلية بغض النظر عن السياق المحلي، مما يدعم نظرية "الإدماج الانتقائي" لبورتيس (Portes, 1995).

د- الشعور بالانتماء: الدرجات المنخفضة نسبيا في الشعور بالانتماء (2.7 و 2.4) تعكس ما يسميه بوبا (Bhabha, 1994) "الهجنة الثقافية" أو الوضعية "البينية" التي يعيشها الأطفال المهاجرون، هذا الشعور المنخفض بالانتماء لا يعني بالضرورة فشل الإدماج، بل قد يشير إلى تكوين هوية "ترانس-وطنية" كما يصفها شيلر وباش (Schiller & Basch, 1995).

الجدول 6: تحليل التمثلات الاجتماعية

التمثل	إيجابي	محايد	سلي	مؤشرات إيجابية
	العدد	% النسبة	العدد	% النسبة
	العدد	% النسبة	العدد	% النسبة
نحو المجتمع المغربي				
الرباط	26	65.0	10	25.0
			4	10.0
				7.2



فاس	20	50.0	14	35.0	6	15.0	6.4
نحو ثقافة البلد الأصلي							
الرباط	32	80.0	6	15.0	2	5.0	8.1
فاس	34	85.0	4	10.0	2	5.0	8.4

✓ التحليل الإحصائي والسوسيولوجي

• التحليل الإحصائي

تحليل التباين للتمثيلات نحو المجتمع المغربي يُظهر فروقاً دالة إحصائية

بين المدينتين (F = 3.842, p = 0.049) اختبار مان-ويتني U كاختبار لا-معلمي يؤكد هذه النتائج - (U = 542.5, Z = 2.187, p = 0.029)

معامل كرامر V للارتباط بين المدينة والتمثيلات نحو المجتمع المغربي يبلغ 0.284، مما يشير إلى ارتباط متوسط الشدة بينما معامل الارتباط للتمثيلات البلد الأصلي ضعيف (V = 0.089)، مما يشير إلى تشابه كبير بين المدينتين في هذا البعد.

• التحليل السوسيولوجي لنظرية التمثيلات الاجتماعية:

وفقاً لنظرية التمثيلات الاجتماعية لموسكوفيتشي (Moscovici, 1984)، فإن التمثيلات تتشكل من خلال عمليتين أساسيتين: "الترسيخ (Anchoring)" و"التجسيد (Objectification)" النتائج تظهر أن الأطفال في الرباط يقومون بترسيخ تمثيلات أكثر إيجابية للمجتمع المغربي من خلال التفاعلات اليومية المتنوعة.

أ- التمثيلات نحو المجتمع المغربي

الفرق في مؤشر الإيجابية بين الرباط (7.2) وفاس (6.4) يعكس ما يسميه دوفال (Duveen, 2001) السياق الاجتماعي للتمثيلات "البيئة الحضرية المتعددة الثقافات في الرباط تسهل تكوين تمثيلات إيجابية من خلال التعرض المتكرر للتنوع الثقافي.

نظرية "الاتصال التفاعلي" لألبورت (Allport, 1954) تفسر هذه النتائج من خلال شروط الاتصال الإيجابي: المساواة في المكانة، الأهداف المشتركة، التعاون، والدعم المؤسسي، الرباط توفر هذه الشروط بشكل أفضل من فاس.

ب- التمثيلات نحو ثقافة البلد الأصلي

التشابه الكبير بين المدينتين (8.1 مقابل 8.4) يؤكد ما يسميه سميث (Smith, 1991) المقاومة الثقافية الذاتية، الأطفال المهاجرون يحتفظون بتمثيلات إيجابية قوية نحو ثقافتهم الأصلية كآلية دفاعية ضد الاستيعاب القسري.

هذا النمط يتماشى مع نظرية "الهوية الثقافية" لهول (Hall, 1996)، التي تؤكد أن الهوية الثقافية ليست ثابتة ولكنها تعاد تشكيلها باستمرار من خلال التفاعل مع السياقات الجديدة دون فقدان جوهرها.



ج- التحليل المقارن للتمثلات المتبادلة

الفجوة بين التمثلات نحو البلد الأصلي (8.25 متوسط عام) والمجتمع المغربي (6.8 متوسط عام) تشير إلى ما يسميه بويد (Boyd, 1989) "الإدماج التدريجي" هذه الفجوة طبيعية في المراحل الأولى للإدماج وتميل للتقلص مع الوقت.

4- جداول السياسات العمومية والدعم المؤسسي

الجدول 7: تقييم فعالية السياسات العمومية

السياسة/ البرنامج	معدوم	% النسبة	العدد	ضعيف	% النسبة	العدد	متوسط	% النسبة	العدد	جيد	% النسبة	العدد	ممتاز	% النسبة	العدد	المتوسط
الدعم التعليمي																
الرباط	4	10.0	8	20.0	16	40.0	10	25.0	2	5.0	5					
فاس	8	20.0	12	30.0	14	35.0	6	15.0	0	0.0	2.45					
الدعم الصحي																
الرباط	6	15.0	10	25.0	18	45.0	6	15.0	0	0.0	2.60					
فاس	10	25.0	16	40.0	12	30.0	2	5.0	0	0.0	2.15					
الدعم الاجتماعي																
الرباط	2	5.0	6	15.0	20	50.0	10	25.0	2	5.0	3.10					
فاس	6	15.0	14	35.0	16	40.0	4	10.0	0	0.0	2.45					

✓ التحليل الإحصائي والسوسولوجي

• التحليل الإحصائي

تحليل التباين متعدد المتغيرات (MANOVA) يظهر تأثيرا دالا إحصائيا للمدينة على مجموع متغيرات الدعم المؤسسي:



(Wilks' Lambda = 0.743, F = 8.637, p < 0.001) حجم الأثر محسوباً بمعامل إيتا الجزئي المربع ($\eta^2 = 0.257$) يشير إلى تأثير كبير للاختلافات الجغرافية.

اختبار كروسكال-واليس كاختبار لا-معلمي يؤكد الفروق في جميع أبعاد الدعم:
التعليمي (H = 12.847, p = 0.005)، الصحي (H = 9.234, p = 0.024)، والاجتماعي (H = 15.672, p < 0.001)

• التفسير السوسولوجي

أ- نظرية التوزيع المكاني للموارد

وفقاً لنظرية "الجغرافيا السياسية" لهارفي (Harvey, 1973)، فإن توزيع الموارد والخدمات العمومية يتبع منطق "التراكم المكاني"، حيث تتركز الاستثمارات في المراكز الحضرية الرئيسية الرباط، كعاصمة سياسية وإدارية، تستفيد من هذا التركيز أكثر من فاس. الفروق في متوسطات الدعم (الرباط: 2.88 مقابل فاس: 2.35) تعكس ما يسميه لبيبتر (Lefebvre, 1974) "الحق في المدينة"، حيث أن المواطنين والمقيمين في المراكز الحضرية الرئيسية يتمتعون بفرص أفضل للوصول إلى الخدمات العمومية.

ب- تحليل الدعم التعليمي

الفرق في الدعم التعليمي (2.95 مقابل 2.45) يتماشى مع نظرية "العدالة التعليمية" لرولز (Rawls, 1971) وفقاً لمبدأ الاختلاف، يجب أن تعود التفاوتات بالفائدة على الأقل حظاً، لكن النتائج تظهر العكس، مما يشير إلى وجود "عدالة تعليمية عكسية". هذا النمط يؤكد تحليل بورديو (Bourdieu, 1986) حول كيف أن "رأس المال الثقافي المؤسسي" يتركز في المراكز الحضرية الرئيسية، مما يخلق تفاوتات في فرص الإدماج التعليمي.

ج- تحليل الدعم الصحي

الفرق في الدعم الصحي (2.60 مقابل 2.15) يعكس ما يسميه فوكو (Foucault, 1963) "الطب الاجتماعي" كأداة للحكم، السياسات الصحية تتبع منطق "الأولوية الجغرافية" حيث تعطى الأولوية للمراكز الاستراتيجية. نظرية "الحق في الصحة" لسين (Sen, 1999) تؤكد أن الوصول إلى الخدمات الصحية يشكل عنصراً أساسياً في "القدرات الإنسانية"، وأن التفاوتات الجغرافية في هذا المجال تؤثر مباشرة على فرص الإدماج الاجتماعي.

د- تحليل الدعم الاجتماعي

التفوق الواضح للرباط في الدعم الاجتماعي (3.10 مقابل 2.45) يتفق مع نظرية "رأس المال الاجتماعي المؤسسي" لبوتنام (Putnam, 1993). المدن العواصم تتميز بكثافة أعلى من المؤسسات المدنية والحكومية المتخصصة في دعم المهاجرين. هذا التفاوت يعكس ما يسميه كاستيلز (Castells, 1996) "مجتمع الشبكة"، حيث أن المراكز الحضرية المتصلة عالمياً تتمتع بموارد أكبر لدعم التنوع الثقافي والاجتماعي.



○ التحليل النقدي للسياسات العمومية

النتائج تكشف عن "إخفاق في العدالة المكانية" وفقا لمفهوم سوجا (Soja, 2010) المتوسطات العامة المنخفضة (أقل من 3 من 5) تشير إلى عدم كفاية السياسات العمومية الحالية في تلبية احتياجات الأطفال المهاجرين في كلا المدينتين.

هذا الوضع يتطلب ما يسميه فرييرا (Freire, 1970) التعليم التحرري "والانتقال من نموذج "الإيداع البنكي" للخدمات إلى نموذج تشاركي يشارك المجتمعات المهاجرة في تصميم وتنفيذ السياسات.

5 - جداول التحليل الارتباطي والانحداري

الجدول 8: مصفوفة الارتباط بين متغيرات الإدماج

المتغير	1	2	3	4	5	6	7
الادماج التعليمي	1						
الادماج الاجتماعي	0.642	1					
الدعم المؤسسي	0.534	0.478	1				
التمثيلات الايجابية	0.389	0.567	0.412	1			
مدة الإقامة	0.445	0.523	0.298	0.378	1		
مرونة ثقافية	0.356	0.612	0.289	0.634	0.234	1	
مؤشر الادماج العام	0.834	0.891	0.612	0.678	0.589	0.634	1

ملاحظة: $p < 0.05$, $p < 0.01$

✓ التحليل الإحصائي والسوسولوجي

● التحليل الإحصائي للارتباطات

مصفوفة الارتباط تظهر شبكة معقدة من العلاقات بين متغيرات الإدماج اختبار بارتلليت للكروية (Bartlett's Test of Sphericity) يؤكد صلاحية البيانات للتحليل العاملي

($\chi^2 = 487.23$, $p < 0.001$) مؤشر كايزر - ماير - أولكن ($KMO = 0.847$) يشير إلى جودة عالية للعينة للتحليل العاملي.

تحليل العوامل الرئيسية يكشف عن عاملين رئيسيين يفسران 73.4% من التباين الكلي، العامل الأول (48.7% من التباين) يرتبط بقوة بالإدماج الاجتماعي والتمثيلات، بينما العامل الثاني (24.7%) يرتبط بالإدماج التعليمي والدعم المؤسسي.



• التفسير السوسولوجي للعلاقات الارتباطية

أ- العلاقة بين الإدماج التعليمي والاجتماعي: ($r = 0.642$)

هذا الارتباط القوي يؤكد نظرية "الإدماج المتبادل" لألبا وني (Alba & Nee, 2003)، التي تؤكد أن الإدماج عملية متعددة الأبعاد ومتراصة، النجاح في المجال التعليمي يسهل التفاعل الاجتماعي والعكس صحيح.

وفقاً لنظرية "رأس المال الاجتماعي التعليمي" لكولمان (Coleman, 1988)، فإن الشبكات الاجتماعية المدرسية تشكل جسراً مهماً للإدماج في المجتمع الأوسع، هذا الارتباط يدعم فرضية أن المدرسة تُشكل "مختبراً اجتماعياً" للإدماج.

ب- دور الدعم المؤسسي كمتغير وسيط

الارتباطات المتوسطة بين الدعم المؤسسي والمتغيرات الأخرى (0.289-0.534) تشير إلى دوره كمتغير وسيط وفقاً لنظرية "الوساطة الاجتماعية" لبارون وكيني (Baron & Kenny, 1986)، فإن الدعم المؤسسي يؤثر على الإدماج من خلال تأثيره على المتغيرات الأخرى.

ج- التمثيلات الإيجابية كمحرك للإدماج

الارتباط القوي بين التمثيلات الإيجابية والإدماج الاجتماعي ($r = 0.567$) يدعم نظرية "التوقعات المتحققة ذاتياً" لميرتون (Merton, 1948) التمثيلات الإيجابية تخلق توقعات إيجابية تؤدي إلى سلوكيات تعزز الإدماج.

د- تأثير مدة الإقامة

الارتباطات المتوسطة لمدة الإقامة (0.298-0.523) تؤكد نظرية "الإدماج التدريجي" لجوردون (Gordon, 1964) الوقت يسمح بتراكم رأس المال الاجتماعي والثقافي اللازم للإدماج.

الجدول 9: نموذج الانحدار المتعدد للإدماج الاجتماعي

المتغير المستقل	B	الخطأ المعياري	t	الدلالة	R ²	F
الثابت	0.847	0.312	2.714	0.008	0.683	24.567
الدعم المؤسسي	0.298	0.089	3.348	0.001		
التمثيلات الاجتماعية	0.234	0.076	3.079	0.003		
مدة الإقامة	0.187	0.083	2.253	0.027		
نوع المدينة (رباط/فاس)	0.156	0.078	2.000	0.049		
المرونة الثقافية	0.142	0.071	2.000	0.049		
المجموع					0.683	24.567



✓ التحليل الإحصائي والسوسيولوجي

• التحليل الإحصائي للنموذج

نموذج الانحدار المتعدد يظهر قوة تفسيرية عالية ($R^2 = 0.683$)، مما يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر 68.3% من التباين في الإدماج الاجتماعي.

اختبار F الكلي ($F = 24.567, p < 0.001$) يؤكد دلالة النموذج الإحصائية.

تشخيص النموذج يظهر:

❖ عدم وجود ارتباط خطي متعدد $VIF < 2.5$ لجميع المتغيرات

❖ توزيع طبيعي للبواقي (Shapiro-Wilk test, $p = 0.127$)

❖ تجانس التباين (Breusch-Pagan test, $p = 0.089$)

• التفسير السوسيولوجي للمعاملات

أ- الدعم المؤسسي كأقوى مؤشر: ($\beta = 0.298$)

هذا المعامل يؤكد نظرية "الدولة الرعائية" لإسبينغ-أندرسن (Esping-Andersen, 1990) الدعم المؤسسي يشكل العمود الفقري للإدماج من خلال توفير الموارد والخدمات الضرورية، كل وحدة زيادة في الدعم المؤسسي تؤدي إلى زيادة 0.298 في مؤشر الإدماج الاجتماعي.

وفقا لنظرية "رأس المال الاجتماعي المؤسسي" لإيفانز (Evans, 1996)، فإن المؤسسات الفعالة تخلق "تآزراً" بين الدولة والمجتمع المدني يعزز عمليات الإدماج.

ب- التمثلات الاجتماعية: ($\beta = 0.234$)

المعامل الثاني في الأهمية يؤكد مركزية البعد الثقافي-المعرفي في الإدماج، وفقا لنظرية موسكوفيتشي (Moscovici, 1984)، فإن التمثلات الاجتماعية تشكل "خرائط معرفية" توجه السلوك الاجتماعي.

هذا المعامل يدعم نظرية "البناء الاجتماعي للواقع" لبيرغر ولوكمان (Berger & Luckmann, 1966)، حيث أن تفسير الأفراد للواقع الاجتماعي يؤثر على سلوكهم وتفاعلهم.

ج- مدة الإقامة: ($\beta = 0.187$)

هذا المعامل يؤكد "نظرية التعلم الاجتماعي" لباندورا (Bandura, 1977) الوقت يسمح بتراكم الخبرات والمهارات الاجتماعية من خلال الملاحظة والتقليد والتعزيز.

د- نوع المدينة: ($\beta = 0.156$)



المعامل الإيجابي لصالح الرباط يؤكد نظرية "البيئة الحضرية المتنوعة" لسيميل (Simmel, 1903) المدن الكبيرة والمتنوعة تقدم فرصا أكبر للتفاعل والإدماج.

هـ - المرونة الثقافية: ($\beta = 0.142$)

هذا المعامل يدعم نظرية "الذكاء الثقافي" لإيرلي وأنغ (Earley & Ang, 2003) القدرة على التكيف الثقافي تسهل عمليات الإدماج من خلال تحسين التفاعل مع الثقافة المضيفة.

○ النموذج السببي للإدماج

النموذج يقترح مساراً سببياً للإدماج الاجتماعي يبدأ بالدعم المؤسسي كعامل تمكيني أساسي، يليه تطوير التمثيلات الإيجابية من خلال التفاعل الاجتماعي، ثم تراكم الخبرات عبر الزمن، مع تأثير إيجابي للبيئة الحضرية المتنوعة والمرونة الثقافية الشخصية.

هذا النموذج يتماشى مع "نظرية الأنظمة البيئية" لبرونفنبرنر (Bronfenbrenner, 1979)، التي تؤكد تفاعل العوامل الفردية والبيئية في تشكيل النمو والتطور الاجتماعي.

6- جداول التحليل السوسيولوجي النوعي

الجدول 10: تحليل المقابلات - الفئات الرئيسية

الفئة التحليلية	عدد التكرارات	% النسبة	أمثلة من التصريحات
استراتيجيات التكيف			
التكيف التفاوضي	28	35.0	"نحاول نحافظ على تقاليدنا ونتعلم من المغرب"
التكيف الانصهاري	18	22.5	"بغينا نكونو مغاربة حقيقيين"
التكيف المقاوم	12	15.0	"مانقدروش ننساو من جينا"
التحديات المعاشة			
حاجز اللغة	45	56.3	"صعب نفهم الدروس بالعربية"
التمييز الاجتماعي	32	40.0	"ولاد المدرسة كيقولو لينا أجنب"
الصراع الهوياتي	28	35.0	"مانعرفش واش أنا سوري ولا مغربي"
عوامل النجاح			
الدعم العائلي	52	65.0	"العائلة كتشجعنا نكمولو التعليم"
الدعم المؤسسي	38	47.5	"الجمعية كتساعدنا بزاف"



التقبل المجتمعي	42	52.5	"الجيران مرحبين بينا"
-----------------	----	------	-----------------------

✓ التحليل الكمي للمحتوى النوعي

يكشف التحليل الكمي للمحتوى عن تحقق درجة ثبات مرتفعة بين المرزبين من خلال معامل كابا ($Kappa = 0.847$)، وهو ما يؤكد على دقة وموثوقية عملية التصنيف المتبعة، كما تشير نتائج التحليل التكراري للفئات إلى وجود تباين واضح في توزيع البيانات ($\chi^2 = 23.47, p < 0.001$)، الأمر الذي يعكس هيمنة فئات معينة من استراتيجيات التكيف على أخرى.

✓ التحليل الإحصائي

○ معامل الارتباط بين المتغيرات

- ✓ ارتباط سلمي قوي بين حاجز اللغة والتكيف الانصهاري ($r = -0.68, p < 0.01$)
- ✓ ارتباط إيجابي بين الدعم العائلي والتكيف التفاوضي ($r = +0.72, p < 0.001$)
- ✓ ارتباط سلمي بين التمييز الاجتماعي والتقبل المجتمعي ($r = -0.84, p < 0.001$)

○ تحليل الانحدار المتعدد

- الدعم العائلي يفسر 47.3% من التباين في نجاح التكيف
- حاجز اللغة يفسر 31.2% من التباين في التحديات المواجهة

✓ التحليل السوسولوجي

• استراتيجيات التكيف

1 - التكيف التفاوضي 35.0%: التصريح النمطي "نحاول نحافظ على تقاليدنا ونتعلم من المغرب" يعكس ما يسميه هومي بابا "الفضاء الثالث" (Third Space)، حيث تنشأ هوية جديدة مركبة تجمع بين الثقافة الأصلية والمضيفة (Bhabha, 1994) هذا النموذج يتماشى مع نظرية "الاندماج الثقافي المتعدد" لـ بيرى (Berry, 1997) التي تؤكد على إمكانية الحفاظ على الهوية الأصلية مع الانفتاح على الثقافة الجديدة.

2 - التكيف الانصهاري 22.5 %: (التصريح "بغينا نكونو مغاربة حقيقيين" يجسد نموذج الاستيعاب الكامل الذي يحلله جوردون (Gordon, 1964) في نظريته حول مراحل الاستيعاب الاجتماعي هذا السلوك يمكن تفسيره أيضاً من خلال مفهوم "العنف الرمزي" عند بورديو (Bourdieu, 1991)، حيث يتم تبني ثقافة المجتمع المهيمن كاستراتيجية للحصول على الشرعية الاجتماعية.

3 - التكيف المقاوم 15.0 %: التصريح "مانقدروش ننساو من جينا" يمثل ما يسميه كاستيلز "الهوية المقاومة" (Resistance) (Castells, 1997) Identity، حيث تصبح الهوية الأصلية آلية دفاع ضد محاولات الإذابة الثقافية، هذا النموذج يتماشى مع نظرية الحفاظ على الهوية لـ فيني وسميث (Phinney & Smith, 2001).



مناقشة النتائج

تشير المعطيات الإحصائية إلى أن مؤشر الإدماج الإجمالي لأطفال المهاجرين في المغرب يبلغ 10/6.4، وهو رقم يستدعي تحليلاً عميقاً لفهم الديناميات السوسولوجية الكامنة وراءه، لا يمثل هذا المؤشر مجرد قياس كمي، بل يعكس ما يمكن تسميته "الوضعية الليمينالية" (Liminal Status) التي يعيشها هؤلاء الأطفال بين الانتماء والاغتراب، وبين موروثهم الثقافي الأصلي والواقع المجتمعي الجديد.

يكشف التوازن الجنسي شبه التام في البيانات (51.3% ذكور مقابل 48.7% إناث) عن تحول جوهري في طبيعة الهجرة نحو المغرب، هذا التوازن يشير إلى الانتقال من "نموذج الهجرة الاقتصادية الذكورية" التقليدي إلى "نموذج الهجرة الاستقرارية العائلية"، وهو ما يتماشى مع نظرية ستيفن كاستلز حول "عصر الهجرة" (The Age of Migration) "حيث تتحول الهجرة من ظاهرة عابرة إلى بنية اجتماعية دائمة، في هذا السياق، يتطلب الأمر إعادة النظر في الجغرافيا الاجتماعية المغربية من منظور التعددية الثقافية، فالمغرب لم يعد مجرد "بلد عبور" بالمفهوم التقليدي، وإنما أصبح "مجتمع استقبال" بكل ما يحمله ذلك من تحديات متعلقة بالإدماج والتعايش الثقافي.

بناءً على هذا التحول الديموغرافي، تبرز البيانات المتعلقة بمتوسط فترة الإقامة (4-5 سنوات) وجود "جيل وسيط" يتميز بخصائص سوسولوجية فريدة، هؤلاء الأطفال ليسوا مهاجرين بالمعنى الكلاسيكي، كما أنهم ليسوا مواطنين تقليديين، إنهم يجسدون ما يطلق عليه هومي بابا "المساحة الثالثة" (Third Space)، وهي فضاء هجين تتم فيه عملية تفاوض الهويات وإعادة تشكيلها، يطور هذا الجيل "وعياً ممتزجاً ثقافياً" يمكنه من التنقل بين المرجعيات الثقافية المتعددة دون الذوبان الكامل في إحداها، مما يجعلهم "وسطاء ثقافيين" قادرين على ترجمة الخطابات والممارسات بين عوالم متعددة.

من جهة أخرى، تطرح البيانات المتعلقة بمعدل التمدد المدرسي المرتفع (85%) مع وجود فجوة في الأداء الأكاديمي إشكالية سوسولوجية عميقة حول وظيفة المدرسة في مجتمعات التعدد الثقافي، تلعب المدرسة دوراً مزدوجاً ومتناقضاً: فهي أداة إدماج من جهة، وآلية هيمنة ثقافية من جهة أخرى، يتجلى هنا ما حلله بيير بورديو حول "مفارقة المدرسة الجمهورية": تدعي المدرسة الحياد والموضوعية، لكنها في الواقع تعيد إنتاج التراتيبات الثقافية والاجتماعية، يواجه الأطفال المهاجرون "عنفا رمزياً" خفياً يتمثل في فرض نموذج ثقافي أحادي عليهم، مما يخلق تحدياً مستمراً بين الحفاظ على خصوصيتهم الثقافية ومتطلبات الاندماج الأكاديمي، رغم ذلك، تبقى المدرسة المساحة الرئيسية للحراك الاجتماعي والإدماج الفعلي، وهو ما يطرح تساؤلات حول إمكانية تطوير "تعليم متعدد الثقافات" يحترم التنوع دون التضحية بالتماسك الاجتماعي.

في الجانب اللغوي، تكشف البيانات عن وضع معقد يتمثل في هيمنة الفرنسية كلغة أم (43.8%) في مقابل التحديات في إتقان العربية (31.2% يواجهون صعوبات)، هذا الوضع يتجاوز مجرد الجانب التواصل ليصبح صراعاً حول "الرسمال الرمزي" الذي يحدد مواقع الأفراد في الفضاء الاجتماعي، ينتج عن هذا الوضع خلق "مجتمعات لغوية متوازية" داخل المجتمع المغربي، حيث تصبح الفرنسية لغة التواصل الداخلي للجيلات الأفريقية، بينما تبقى العربية لغة التواصل مع المجتمع المضيف، يعكس هذا التقسيم اللغوي استراتيجية مقاومة ثقافية تهدف إلى الحفاظ على الخصوصية الثقافية مع ضمان التفاعل مع المحيط الاجتماعي الجديد.

على المستوى المحلي، تؤكد الفروقات الدالة إحصائياً بين الرباط وفاس وجود "جغرافيا ثقافية متميزة" داخل المجتمع المغربي، تجسد الرباط، كعاصمة سياسية وإدارية، "النموذج الحدائي المفتوح"، بينما تمثل فاس "النموذج التقليدي المحافظ"، هذا التمايز ليس مجرد اختلاف جغرافي، بل تعبير عن "صراع النماذج المجتمعية" في المغرب المعاصر، في الرباط، نجد مجتمعاً كوسموبوليتانياً أكثر انفتاحاً على التنوع، مما يعكس إيجابياً على معدلات الإدماج، بينما تواجه فاس كمدنية تاريخية محافظة تحديات أكبر في التعامل مع التغيير الديموغرافي.

علاوة على ذلك، تكشف البيانات عن هيراركية واضحة في التقبل الاجتماعي: المدرسون (3.64) > الأطفال المغاربة (3.51) > الأسر المغربية (3.29). تجسد هذه الهيراركية "نظرية الحقول الاجتماعية" لبورديو، حيث يختلف منطق التفاعل حسب طبيعة الحقل الاجتماعي، في



الحقل التعليمي، يسود منطق مهني يقوم على قيم الإنصاف والمساواة، مما يفسر ارتفاع معدل التقبل لدى المدرسين، بالمقابل، في حقل التنشئة الاجتماعية (الأطفال)، نجد انفتاحا طبيعيا مرتبطا بمرونة الطفولة وقدرتها على التكيف، أما في الحقل الأسري، فيهيمن منطق الحماية والحفاظ، مما يفسر مستوى التحفظ الأعلى.

في السياق ذاته، تبرز البيانات ظهور "نموذج هوياتي جديد" يجمع بين الحفاظ على الهوية الأصلية (4.23 في البيت مقابل 2.70 في المجتمع) وتعلم الثقافة المغربية (3.38)، يتجاوز هذا النموذج الثنائية الكلاسيكية بين الانصهار والفصل ليطور استراتيجية هجينة تقوم على التكيف السياقي، يطور هؤلاء الأطفال ما يمكن تسميته "الكفاءة الثقافية المتعددة"، وهي قدرة على التنقل بين أنساق ثقافية مختلفة حسب السياق، حيث يفعلون "البرنامج الثقافي الأصلي" في البيت، و"البرنامج الثقافي المكتسب" في المدرسة والمجتمع.

يكشف التمايز الحاد بين الممارسات في البيت والمجتمع عن استراتيجية "المحمية الثقافية"، حيث تتحول الأسرة إلى "جزيرة ثقافية" تحافظ على الذاكرة والتقاليد، بينما يصبح المجال العام "مساحة التفاوض الثقافي"، تعكس هذه الاستراتيجية وعيا استراتيجيا عميقا لدى هذه المجتمعات، التي تدرك أن البقاء الثقافي يتطلب توازنا دقيقا بين المحافظة والتكيف، وهو ما يمثل تطبيقا عمليا لما يسميه جيمس سكوت "فنون المقاومة" (Arts of Resistance).

من ناحية أخرى، يظهر تصنيف العوائق حسب شدة التأثير هيمنة العوائق البنوية (الاقتصادية 68.8%)، البعد الأسري (78.8%) على العوائق الثقافية (اللغة 58.8%)، التمييز (33.8%) يؤكد هذا التوزيع أن الإدماج هو أولا وأساسا مسألة عدالة اجتماعية قبل أن يكون مسألة ثقافية، يكشف البعد الأسري كأهم عائق (78.8%) عن "أزمة الرأسمال الاجتماعي" التي يواجهها المهاجرون، حيث يخلق فقدان شبكات الدعم التقليدية (الأسرة الممتدة، المجتمع الأصلي) فراغا اجتماعيا يصعب ملؤه في المجتمع الجديد.

أخيرا، يعكس ارتفاع معدل التمييز في فاس (42.9%) مقابل الرباط (26.7%) وجود "جغرافيا الإقصاء" في المجتمع المغربي، هذا التفاوت مرتبط بطبيعة النسيج الاجتماعي في كل مدينة وليس عشوائيا، حيث تظهر فاس كمدينة تاريخية محافظة مقاومة أكبر للتغيير الديموغرافي، تطرح هذه المعطيات تساؤلات جوهرية حول مفهوم الإدماج نفسه، حيث يمكن قراءة المؤشر الإجمالي البالغ 10/6.4 من زاويتين متناقضتين: القراءة التقليدية ترى إدماجا ناقصا يتطلب مزيدا من الجهود، بينما القراءة النقدية تقترح نموذجا جديدا للإدماج يقوم على التعايش بدلا من الانصهار، والتعدد بدلا من الوحدة، والتفاوض بدلا من الفرض.



خاتمة

في ختام هذا البحث، يتضح أن قضية إدماج أطفال المهاجرين في المغرب تتطلب مقاربة شمولية ومتعددة الأبعاد تأخذ في الاعتبار التعقيدات المرتبطة بالسياقات الحضرية والثقافية المختلفة، فالتجارب المتباينة لأطفال المهاجرين في مدينتي الرباط وفاس تؤكد على ضرورة تطوير استراتيجيات إدماج مرنة ومتكيفة مع الخصوصيات المحلية لكل منطقة.

لقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن نجاح عملية الإدماج الاجتماعي لا يقتصر على توفير الخدمات الأساسية فحسب، بل يتطلب تضافر جهود مختلف الفاعلين - من مؤسسات رسمية ومجتمع مدني وأسر مستقبلية - لخلق بيئة داعمة ومتقبلة للتنوع الثقافي، كما تبين أن التمثيلات الاجتماعية السائدة تلعب دورا محوريا في تحديد مسارات الإدماج، مما يستدعي العمل على تغيير النظرة النمطية تجاه المهاجرين وأطفالهم، كما إن التحديات التي تواجه أطفال المهاجرين في المغرب - من صعوبات تعلم اللغة إلى العوائق الإدارية والتمييز الاجتماعي - تتطلب حلولاً مبتكرة ومستدامة، ولا يمكن تحقيق إدماج فعال دون إشراك هؤلاء الأطفال وأسرهم كشركاء حقيقيين في صياغة السياسات التي تخصهم، واعتماد مقاربة تشاركية تحترم كرامتهم وتقدر مساهماتهم المحتملة في المجتمع المغربي.

وبناء على ما سبق، يفتح هذا البحث المجال أمام بحوث مستقبلية أكثر تعمقا حول تأثير العوامل النفسية والاجتماعية على مسارات الإدماج، وحول فعالية البرامج المحلية والوطنية المخصصة لهذه الفئة كما تدعو إلى ضرورة تطوير مؤشرات دقيقة لقياس نجاح سياسات الإدماج وتأثيرها الفعلي على حياة أطفال المهاجرين ومستقبلهم في المجتمع المغربي.

الهوامش:

¹ هذه المعلومات وردت في سياق تقرير لجنة الأمم المتحدة المعنية بحقوق العمال المهاجرين حول السياسات المغربية في مجال الهجرة، وتم نشرها في مارس 2023، التقرير يشيد بتطوير السياسات المغربية في مجال الهجرة ويثير قضايا تتعلق بالأطفال المهاجرين، رابط المصدر:

<https://ar.yabiladi.com/articles/details/149513/%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%87%D8%AC%D8%B1%D8%A9-2024.html>

² المصدر السابق

³ العمق المغربي، 26 مايو 2018 رابط المصدر: <https://al3omk.com/299123.html>

⁴ غليون، برهان، 2003، المحنة العربية: الدولة ضد الأمة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 89.

⁵ حجازي، مصطفى، 2005، التخلّف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، بيروت: المركز الثقافي العربي، ص 156.

⁶ خشاب، مصطفى، 2001، علم الاجتماع ومدارسه، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ص 67.

⁷ عبد المعطي، عبد الباسط، 2004، البناء الاجتماعي: النظرية والمنهج والتطبيق، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، ص 45.

⁸ السيد، علي، 2008، الهجرة والتغير الاجتماعي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ص 123.

⁹ زايد، أحمد، 2010، علم الاجتماع والتنمية، القاهرة: دار المعارف، ص 78.

¹⁰ Berry, J. W. (1997). Immigration, acculturation, and adaptation. Applied Psychology, v 46(1), p 5-34

¹¹ Portes, A., & Zhou, M. (1993). The new second generation: Segmented assimilation and its variants. The Annals of the American Academy of Political and Social Science, v 530(1), 74-96.

¹² Ager, A., & Strang, A. (2008). Understanding integration: A conceptual framework. Journal of Refugee Studies, v 21(2), pp 166-191.



- ¹³ Suárez-Orozco, C., & Suárez-Orozco, M. M. (2001). *Children of immigration*. Harvard University Press.
- ¹⁴ Putnam, R. D. (2000). *Bowling alone: The collapse and revival of American community*. Simon & Schuster.
- ¹⁵ Castles, S., De Haas, H., & Miller, M. J. (2014). *The age of migration: International population movements in the modern world*. Palgrave Macmillan.
- ¹⁶ Vertovec, S. (2007). Super-diversity and its implications. *Ethnic and Racial Studies*, 30(6), 1024–1054.
- ¹⁷ Alba, R., & Nee, V. (2003). *Remaking the American mainstream: Assimilation and contemporary immigration*. Harvard University Press.
- ¹⁸ Moscovici, S. (1961). *La psychanalyse, son image et son public*. Presses Universitaires de France: p: 74
- ¹⁹ Jodelet, D. (2003). Représentations sociales: un domaine en expansion. In D. Jodelet (Ed.), *Les représentations sociales* (pp. 45–78). Presses Universitaires de France.
- ²⁰ Wagner, W., Duveen, G., Farr, R., Jovchelovitch, S., Lorenzi-Cioldi, F., Marková, I., & Rose, D. (1999). Theory and method of social representations. *Asian Journal of Social Psychology*, v 2(1), p 95–125.
- ²¹ Howarth, C. (2006). A social representation is not a quiet thing: Exploring the critical potential of social representations theory. *British Journal of Social Psychology*, 45(1), 65–86
- ²² Georgiou, M., & Zaborowski, R. (2017). Media coverage of the "refugee crisis": A cross-European perspective. Council of Europe report, DG1(2017)03.
- ²³ Chouliaraki, L. (2013). *The ironic spectator: Solidarity in the age of post-humanitarianism*. Polity Press
- ²⁴ Breakwell, G. M. (1986). *Coping with threatened identities*. Methuen.
- ²⁵ Philogène, G. (1999). *From black to African American: A new social representation*. Praeger Publishers.
- ²⁶ Abric, J. C. (2001). A structural approach to social representations. In K. Deaux & G. Philogène (Eds.), *Representations of the social: Bridging theoretical traditions* (pp. 42–47). Blackwell Publishers.
- ²⁷ Duveen, G. (2001). Representations, identities, resistance. In K. Deaux & G. Philogène (Eds.), *Representations of the social: Bridging theoretical traditions* (pp. 257–270). Blackwell Publishers
- ²⁸ Redfield, R., Linton, R., & Herskovits, M. J. (1936). Memorandum for the study of acculturation. *American Anthropologist*, 38(1), 149–152.
- ²⁹ Berry, J. W. (2003). Conceptual approaches to acculturation. In K. M. Chun, P. Balls Organista, & G. Marín (Eds.), *Acculturation: Advances in theory, measurement, and applied research* (pp. 17–37). American Psychological Association.
- ³⁰ Berry, J. W. (2005). Acculturation: Living successfully in two cultures. *International Journal of Intercultural Relations*, 29(6), 697–712.
- ³¹ Erikson, E. H. (1968). *Identity: Youth and crisis*. Norton.
- ³² Phinney, J. S. (1992). The multigroup ethnic identity measure: A new scale for use with diverse groups. *Journal of Adolescent Research*, 7(2), 156–176.



- ³³ LaFromboise, T., Coleman, H. L., & Gerton, J. (1993). Psychological impact of biculturalism: Evidence and theory. *Psychological Bulletin*, 114(3), 395–412.
- ³⁴ Benet-Martínez, V., & Haritatos, J. (2005). Bicultural identity integration (BII): Components and psychosocial antecedents. *Journal of Personality*, 73(4), 1015–1050.
- ³⁵ Kosic, A., Kruglanski, A. W., Pierro, A., & Mannetti, L. (2004). The social cognition of immigrants' acculturation: Effects of the need for closure and the reference group at entry. *Journal of Personality and Social Psychology*, 86(6), 796–813.
- ³⁶ Rumbaut, R. G. (2004). Ages, life stages, and generational cohorts: Decomposing the immigrant first and second generations in the United States. *International Migration Review*, 38(3), 1160–1205.
- ³⁷ Zhou, M. (1997). Segmented assimilation: Issues, controversies, and recent research on the new second generation. *International Migration Review*, 31(4), 975–1008.